الثورة
الخميس 23 ذو الحجة 1433هـ 8 نوفمبر 2012م العدد (17522)

«واقع الصحافة اليمنية اليوم»..

يحيى عبدالرقيب الجُبيحي
Aljupaihi@hotmail.com

تمهيد:

- بقدر ما مثلت إعادة الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م.. حدثاً تاريخياً ووطنياً هاماً في حياة اليمن واليمنيين بوجهٍ عام.. بقدر ما مثلت توجهات سياسية وثقافية وفكرية تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه في الشطرين.. ومن تلك التوجهات الجانب الإعلامي بوجهٍ عام والجانب الصحفي الذي يُعد جزءاً هاماً من الجانب الإعلامي بوجهٍ خاص.. لأن من أهم الشروط التي ارتكزت عليها اتفاقية إعادة الوحدة بين قيادتي الشطرين الأخذ بالتعددية السياسية وإطلاق حرية الصحافة في إطار الثوابت!.. وهو ما يعني رفع كل القيود التي كانت تحول دون وجود صحافة حُرة وملتزمة بنفس الوقت.. ولأن المجتمع اليمني لم يألف مثل هذه التوجهات الصحفية الجديدة.. بجانب نسبة الأمية المرتفعة وعدم التمسك بالضوابط والتشريعات التي صاحبت حرية الصحافة.. فقد ظهرت عشرات الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية والدورية إلى درجة وصول حجم الإصدار الصحفي خلال عامي ٩٠ و ١٩٩١م إلى أكثر من ١٥٠ صحيفة ومجلة.. هذا غير الصحف والمجلات التي كانت تصدر قبل إعادة الوحدة والتي استمرت هي الأخرى في الصدور..

– ولكن.. ولأسباب عديدة.. منها ما أشرتُ إليه آنفاً.. بقدر السرعة القياسية التي ظهرت بها تلك الصحف وبتلك الكثرة غير المتوقعة.. بقدر سرعة عدم قدرة بعضها في الاستمرار.. لتتعثر بعضها وتنحسر بعضها وتختفي بعضها.. وإن اختلفت الأسباب لذلك.. والتي منها أيضاً: الاندفاع غير السليم لبعض الأحزاب والأفراد في الإصدار.. وبصورة ارتجالية غير مدروسة.. وتطلع البعض إلى الإثراء شبه السريع من خلال القيام بالإصدار!.. إضافة إلى عدم الاستغلال المناسب لحرية الصحافة وبالصورة التي تراعي القوانين والضوابط المنظمة لهذا الجانب..

–ورغم ما حدث عامَ ١٩٩٤م وما تلى ذلك من بعض القيود على الصحافة.. إلا أن ذلك لم يصل إلى نفس القيود والمحاذير التي سادت شطري الوطن قبل إعادة الوحدة اليمنية ولأسباب عديدة منها: ربما خوفاً من اعتبار ذلك بكونه أحد أهم خرق الاتفاق الذي أعيدت من خلاله الوحدة.. رغم حدوث بعض الخروقات واستنساخ بعض الصحف ومحاربة البعض الآخر.. ورغم قيام النظام السابق بإنشاء محكمة للصحافة والمطبوعات ونيابة الصحافة.. والتي أنشئت دون سند دستوري لتعتبر بمثابة محاكم استثنائية!

– وهكذا يمكن القول أن الصحافة اليمنية ظلت بعد حرب عام ١٩٩٤م تتراجع تباعاً لما طرأ من تقليص في مجال الحريات السياسية والإعلامية بوجهٍ عام.. خاصة وأن قيام النظام السابق بممارسة الاستنساخ المتعمد لبعض الصحف والإغراء المادي لبعض الصحفيين أوجد تذمراً لدى الخاصة والعامة.. ورغم ذلك– ظلت الصحافة اليمنية تفرض وجودها.. واستمرت الصحف التي تملك قدراً كبيراً من المهنية ومن عوامل البقاء في الصدور والاستمرارية..

– ثم.. بدأ العد التنازلي للنظام السابق في الأفول– خاصة من بعد الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٦م.. وما حدث من فشل ذريع بمجمل الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.. لتعود الروح إلى الصحافة اليمنية من جديد عبر استغلالها لمثل هذا الفشل الذي صعب على النظام السابق إخفاؤه.. ثم لتصل الصحافة اليمنية ببعض توجهاتها العامة مع انطلاق ثورة الشباب بداية عام ٢٠١١م إلى نفس ما كانت عليه عقب عودة الوحدة اليمنية مباشرة– مع الأخذ في الاعتبار اختلاف الأسباب والدوافع بين ما كانت عليه خلال الأعوام الثلاثة التي تلت الوحدة وما آلت إليه من بعد بداية عام ٢٠١١م..

– كان لا بد من طرح هذا السرد الموجز.. حتى يمكن الحديث عن واقع الصحافة اليمنية اليوم!!.. ولكن قبل معرفة هذا الواقع– لا بُد من معرفة مفهوم الصحيفة ثم مفهوم الصحفي.. فمفهوم حرية الصحافة..

– فمفهوم الصحافة: يتمثل بكونها تدل على معنيين الأول ما يعني لكلمة: (journalism) أي المهنة الصحفية والثاني ما يعني لكلمة: (press) أي مجموع ما ينشر بالصحيفة.. فالصحيفة– تعني جميع الطرق التي تصل بواسطتها الأنباء والتعليقات عليها إلى الجمهور.. كما تعني– كل فكر وعمل ورأي ذي صلة بما يجري محلياً ودولياً ليكون المادة الأساسية للصحفي.. وبحسب قول أحد أبرز الصحفيين بمجلة– تايم– الأميركية.. فإن الصحيفة تعني:– نقل المعلومات من هنا وهناك بدقة وتبصر وسرعة، وبطريقة تخدم الحقيقة وتجعل الصواب في الأمور يبرز ببطء حتى لو لم يبرز فوراً..

– أما مفهوم الصحفي: فقد حددته نقابة الصحفيين الفرنسيين قبل أكثر من ثمانين عاماً.. ليصبح ذلك التحديد أو المفهوم هو القاسم المشترك لدى معظم نقابات واتحادات الصحفيين الأوروبيين والأميركيين وغيرهم.. هذا المفهوم كما جاء بالنص: «إن الصحفي الجدير بهذا الاسم.. يأخذ على عاتقه تبعة كل كتاباته.. حتى ولو كانت غفلاً من الإمضاء– فيعتبر الطعن والتشهير والقذف والاتهامات التي لا دليل لها من أشنع أخطاء الصنعة .. وهو لا يقبل إلا المهمات التي تتفق مع كرامة المهنة.. ويمتنع عن ادعاء لقب أو انتحال صفة ليحصل على الخبر!.. وهو لا يأخذ مالاً من عمل حكومي أو منشأه خاصة يمكن أن تصبح فيهما صفته الصحفية أو علاقاته.. أو يصبح نفوذه عرضة للاستغلال.. وهو لا يُوقع باسمه مقالات للإعلان التجاري أو المالي البحت وهو لا يرتكب سرقة أدبية.. ولا يسعى في أخذ مركز زميل له.. ولا يعمل على فصله بأن يتقدم للعمل بشروط أدنى، وهو يحفظ سر المهنة، ولا يُسيء استعمال حرية الصحافة بقصد مُغرض؟!!»

– وبالنسبة لمفهوم حرية الصحافة.. فإنه حسب فهمي يتمثل بالالتزام بقيم ومعايير المهنة الصحفية ذاتها.. والتمسك بثوابت المجتمع العقائدية والفكرية.. ومراعاة التوجهات العامة.. وقد يعني مفهوم حرية الصحافة ضرورة معرفة القارئ لتبعية الصحيفة.. لأن الغموض في التبعية يؤدي إلى بعض الشكوك وسوء الظن.. بينما الوضوح يُولد الثقة كما هو معروف..كما يعني مفهوم حرية الصحافة التمسك بنشر الحقيقة.. والاستقلالية والحيادية والتحري والعدل والإنصاف والأمانة والأخلاق في كل ما تقوم.. الصحيفة بنشره.. والآن على ضوء تلك المفاهيم للصحيفة وللصحفي ولحرية الصحافة.. ما هو واقع الصحافة اليمنية اليوم؟!..

– هل الصحافة اليمنية اليوم تُعتبر عامل بناء أم العكس؟.. هل هي قادرة على إحداث تغيير في حياة المجتمع اليمني؟.. هل هي قادرة على كشف مسئول فاسد عبر الأدلة المقنعة، أو قدرتها على الإفراج عن متهم بريء، وعلى إجبار تاجر على سحب بضاعته الفاسدة من الأسواق، وعلى كشف خداع الحكومة للشعب وعبر أدلة وشواهد مقنعة؟.. هل الصحافة اليمنية قبل ذلك وبعده.. تهدف إلى خدمة الوطن والمواطن؟..

– أحسب شخصياً أن الصحافة اليمنية اليوم غير قادرة على تحقيق مثل هذه الأمور– إلا ما ندر!!..

– ذلك أن الصحافة اليمنية تفتقر إلى الجانب المؤسسي كما تفتقر إلى استطلاعات الرأي العام إلا ما ندر.. وعدم قدرتها على استثارة الرأي العام أو التأثير الواضح فيه بسبب افتقارها لبعض الحقائق والمعلومات التي يتطلع إليها القراء.. كذلك لا تعتمد الصحافة اليمنية على جهودها في الحصول على الأخبار والمعلومات التي تقوم بنشرها وإنما هي مجرد ناقل من صحف خارجية أو من صحيفة محلية إلى أخرى..!!

– وأصبحت معظم الصحف اليمنية اليوم تعيش على لعن الماضي وليس على التحرر منه.. لأنها تتسم بمجملها بعدم القدرة على نسيان الماضي.. مما جعل إرث الأمس القريب بكل مساوئه يفرض أجندته على توجهات صحافة اليوم.. وبعض الصحف.. تحولت إلى مجرد صوت للجوانب المذهبية والحزبية والتحريض المنافي لأبسط قواعد المهنة.. والتي تأتي على حساب خدمة الوطن والمواطن والمصالح العامة للمجتمع!!..

كما باتت أخبار بعض الصحف اليمنية مجرد إشاعات أو تلفيق لا تستند إلى أدلة أو وثائق تدعم تلك الأخبار التي عادة ما تدعي بعض تلك الصحف بأن لها مصادرها الخاصة بنشرها..!! بل باتت الصحافة اليمنية بوجهٍ عام تُكتب بلغة ركيكة لا تليق بلغة اليمن التي هي مَنبع اللغة العربية ومأوى أفئدة العرب.. ثم ما باتت تتسم به معظم الصحف اليمنية اليوم من غموض في التبعية.. فباستثناء الصحف الرسمية والحزبية المعروفة لدى القارئ هناك عشرات الصحف التي يصعب معرفة تبعيتها لكل القراء.. إذ ليس كلهم يعرف تبعية صحف مثل: الناس.. الأهالي.. الشارع.. الأولى.. اليمن اليوم.. الديار.. بل إن معظم القراء.. قد لا يعرف بتبعية صحف أخرى مثل:– الوسط.. إيلاف.. اليقين.. خليج عدن.. الوسطية.. الواقع.. المنتصف.. الهوية.. المسار.. وغير هذه الصحف التي تدعي : «الاستقلالية» وهي ليست كذلك..!!

– كما أن واقع الصحفي اليمني اليوم هو الآخر يتسم بعدم شعوره بالمسئولية تجاه القارئ.. بجانب عدم إلمامه بعمل بعض الجهات الرسمية وغير الرسمية التي يقوم بنشر بعض الأخبار والتحقيقات عليها– إلا ما ندر..ويظل الصحفي اليمني حبيس مكتبه في الغالب.. بدلاً من البحث والتحري والحصول على أخبار جديدة وجديرة بالنشر.. وقيامه بنشر أخبار قديمة أو مكررة أو مملة.. وهو ما يعني عدم انطباق مفهوم الصحفي كما حددته نقابة الصحفيين الفرنسيين على الصحفي اليمني– إلا ما ندر.. حتى باتت الصحافة في اليمن مهنة من لا مهنة له.. وإن كان ذلك ليس مطلقاً.. فهناك صحفيون في اليمن جديرون بهذه الصفة وقادرون على العطاء.. ويتواجدون بالصحف الأهلية المستقلة– أو التي تدعي أنها كذلك– أكثر من تواجدهم بالصحف الرسمية والحزبية.. رُبما لأن الصحف الرسمية والحزبية تفضل جوانب الولاء والالتزام بمعاييرها الخاصة بها على الجوانب المهنية..

– وبالنسبة لحرية الصحافة– فرغم وجود هامش ديمقراطي وحرية في العمل الصحفي لا يُستهان بها.. والتي بفضلها– ظهر صحفيون جديرون بالمهنة.. يتمتعون بقدرات استثنائية وعطاء جلي وإن كانوا قلة.. بجانب ظهور رأي عام مستنير حتى ولو كان حجمه ضئيلاً إلى درجة وصول بعض القراء إلى صعوبة الاستغناء عن متابعة وقراءة بعض الصحف اليمنية!.. وكل ذلك بفضل وجود هامش ديمقراطي وحرية صحافة لا يمكن نكرانها.. إلا أن الصحافة اليمنية لم تحسن استغلال هذه الحرية المتاحة بالصورة المقبولة.. التي تتوافق مع مفهوم حرية الصحافة المشار إليها آنفاً.. حتى يمكن القول أن الضوابط التي تتمثل بالمصداقية والتحري والإنصاف والأمانة وغيرها من العوامل الجديرة بأداء مهنة الصحافة– لا تزال الصحافة اليمنية تفتقر إليها.. إلا ما ندر!..

– وإذاً.. يمكن القول بكل إيجاز ممكن– أن واقع الصحافة اليمنية اليوم هو واقعٌ قاتم.. فهي مجرد أخبار ومقالات تتسم معظمها بالمهاترات وإثارة الفتن وتجاوزات عفا عليها الزمن.. وإن لم يكن هذا الحكم عاماً.. كما أن المحتوى والمضمون مجرد تكرار ممل لأخبار وإشاعات.. بعضها تستقى من مقايل «القات» وبعضها تنقل من صحف خارجية أو من صحيفة محلية إلى أخرى دون ذكر المصدر ودون التحري من مدى صدقيتها.. إضافة إلى افتقار بعض القائمين على بعض الصحف إن لم يكن معظمهم لأبسط قواعد ممارسة المهنة الصحفية.. بجانب تحويل بعض الصحف اليمنية المدعية للاستقلالية إلى تصفية حسابات بين بعض الأحزاب والقوى السياسية ضد بعضها البعض حتى بات توحد بعض الصحف تجاه العدو– المشترك– إن صح هذا التعبير– رغم ما يفرق بينها هو السائد اليوم!.. وعلى سبيل المثال وليس الحصر:– فإن صحفاً محسوبة على النظام السابق والتي تدعي استمرار حرص نظامها على الوحدة وعلى استمرار مواقفه من «الحوثيين» باتت اليوم تمثل «الحراك الانفصالي» والتوجهات السياسية والفكرية للحوثيين بما تقوم بنشره من أخبار وتوجهات وآراء ومقالات عنهما.. كما هو حال صحيفة «اليمن اليوم» اليومية!! وبعض الصحف الموالية للنظام السابق– وهي معروفة.. كما أن بعض الزملاء الصحفيين باتوا بما يطرحون من آراء وتوجهات مغايرة لما يؤمنون به يمثلون صورة جلية من صور الوضع الاجتماعي القائم في يمن اليوم.. حيث تغيير المبادئ هي السائدة.. سواءً بسبب الحاجة وهو الغالب، أو بسبب بعض المواقف من بعض الأحزاب والقوى السياسية ومن بعض الشخصيات.. ثم.. بات واقع الصحافة اليمنية اليوم يتسم بالغموض والألغاز والتسريبات الصحفية وغير ذلك من الأمور التي لا تراعي ثوابت الأمة ولا مصالح الوطن– إلا ما ندر..!

– وإذا كان هذا هو واقع الصحافة اليمنية على المستوى المحلي– فإن واقعها على المستوى الخارجي.. يتسم بالغياب شبه الكلي.. فكم يتندر أحدنا على صحافة وطنه حينما يكون خارج الوطن.. إضافة إلى المغترب اليمني المتعطش لأي شيء يأتي من وطنه.. حينما يجدان بشوارع جدة والرياض والقاهرة وأبوظبي صحفاً من معظم الدول العربية– بما فيها صحف سودانية، جيبوتية، وصومالية... ولا يجد صحيفة يمنية مهما كان مضمونها ومحتواها قاصراً.. عدا بعض الصحف الرسمية التي قد تصل إلى الخارج– بصورة نادرة ومتأخرة..!

– إنه على الرغم من بعض التطور التقني والتكنولوجي الذي باتت تستخدمه بعض الصحف اليمنية اليوم بل باتت تستخدم نفس الأدوات ونفس التقنية التي تستخدمها بعض الصحف العربية والغربية.. ووجود بعض الصحفيين اليمنيين القادرين على العطاء.. إلا أن ما يميز الصحافة اليمنية إن كنا نعتبر ذلك تميزاً.. هو أنها لا تزال أسيرة الماضي.. كما أنها باتت تتعايش مع أحزاب سياسية غير فاعلة.. ومع معارضة غير صادقة.. ومع مجتمع لا يزال في طور البناء والتأهيل.. ولا يزال يعاني من أمية مزدوجة!.. خاصة أمية بعض حملة المؤهلات الأكاديمية التي هي أخطر من أمية عدم القراءة والكتابة.. كما يظهر ذلك بمظاهر شتى.. بما فيها بعض المقالات والتوجهات والآراء الصحفية التي باتت تشغل حيزاً كبيراً في الصحافة اليمنية اليوم.. ثم.. معايشة الصحافة اليمنية لثقافة وتربية لا تقوم على التشجيع والتفكير والإبداع بقدر ما تقوم على التلقين والمحاكاة.. مما يضاعف من تأثيرها السلبي وضالة حضورها الشعبي والميداني!..

– إن الصحافة الغربية التي تمثل قمة الحرية.. والأنموذج لما عداها يستحيل عليها نشر خبر أو تحقيق دون وثائق تدعم ما تنشر.. كونها تلتزم بالمصداقية والتحري والعدل والإنصاف والأمانة.. ويأتي الهدف الأسمى في كل توجهاتها العامة والمعلنة من أجل خدمة الوطن والأمة.. وهو عكس بعض الصحف العربية والصحافة اليمنية بوجهٍ عام!.. وإذا كان هذا هو واقع الصحافة اليمنية اليوم.. وهو كذلك.. فإن الوضع الاجتماعي اليمني السائد، والظروف والأوضاع الحالية.. تقتضي أهمية وجود مرجع رسمي يعمل على تنظيم العمل الصحفي ويراعي شروط المهنة والتوجهات العامة للشعب.. وأنا هنا لا أعني بالمرجع الرسمي وجود تحكم رسمي بالصحافة والمعلومات.. والذي قد يعني السيطرة المطلقة على توجهات وعقول القراء.. أو تصبح الصحافة أحد ممتلكات الدولة.. فتقوم بتقييدها من أجل خدمتها ونشر آرائها وتوجهاتها ولو على حساب الحقيقة.. وإنما أعني– وجود مرجع رسمي يقوم بتنظيم العمل الصحفي وتطويره، ويراعي شروط ممارسة مهنة الصحافة والتقيد بثوابت الوطن وخدمته ومصالحه بوجهٍ عام.. بجانب مراعاة حق المواطن في معرفة الحقيقة دون غموض أو ألغاز!!.. مُختتماً ورقتي المتواضعة هذه.. بتصريح صُحُفي لأول وزير للإعلام بعد ثورة الشباب والذي كاد أن يدفع الثمن غالياً حينما تعرض لمحاولة اغتيال بسبب بعض توجهاته الوطنية المعلنة وقيامه ببعض التغييرات المطلوبة لبعض القيادات الإعلامية التي عفا عليها الزمن إضافة إلى تغيير جليّ بجوهر الإعلام بوجهٍ عام.. وإن كانت الطريق لا تزال أمامه صعبة بسبب حجم التركة الثقيلة في العمل الإعلامي بوجهٍ عام.. أعني:– الأستاذ المُستنير/ علي العمراني حينما حضر ورشة عمل خاصة بـ: «حق الحصول على المعلومة» يوم ٢٠١٢/٥/١٩م.. فقال بالنص:– (إن عهد الغموض والألغاز انتهى.. وإن من حق المواطن أن يعرف الحقيقة، فلا تكتم على ما ينبغي أن يعلمه الناس.. ما عدا ما يتعلق بمصالح الدولة والوطن التي يُعتبر البوح بأسرارها جريمة)..

– هذا هو ما رأيت إيجازه هنا عن (واقع الصحافة اليمنية اليوم) حسب فهمي الخاص..

والله الموفق..